بسم الله الرحمن الرحيم

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ
إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ
أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم
بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ
وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ
فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾



# سورة محمّد

سورة محمد مدنيّة وآياتها ثمان وثلاثون آية، ولها اسم ثاني هو: سورة القتال أو الجهاد.

[١] بدأت السورة ببيان سوء عاقبة الكافرين، وحسن عاقبة المؤمنين؛ فأخبر سبحانه أن الذين رفضوا الدخول في الإسلام، وصدوا الناس عن دين الله، وهم كفار قريش ومن نحىٰ نحوهم؛ أحبط الله أعمالهم التي كانوا يفتخرون بها كإكرام الضيف وصلة الأرحام؛ ومع أنها أعمال حسنة إلا أنها مع كفرهم صارت أعمالًا حابطة ضائعة.

[٢] ثم أخبر سبحانه أن الذين صدَّقوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحة، وشهدوا أن ما جاء به محمد ﷺ حق؛ فمن كانت هذه حالهم فقد كفَّر الله عنهم سيئاتهم التي عملوها، وأصلح حالهم؛ حيث أرشدهم إلىٰ أعمال الخير وصفّىٰ نياتهم ومقاصدهم.

[٣] ثم بين جل وعلا أن ذلك الضلال كان بسبب أن الذين كفروا اتبعوا الباطل الذي سوله لهم الشيطان فأشركوا بالله، وعملوا بمعاصيه، وأما هداية المؤمنين وتكفير سيئاتهم فكانت بسبب أنهم اتبعوا الحق من ربهم فآمنوا به ووحدوه، واتبعوا رسوله ﷺ، وعملوا الأعمال الصالحة التي يحبها الله ويرضاها، وبمثل هذا التبيين لحال المؤمنين والكافرين يُبيِّنُ الله للناس أمثالهم وأحوالهم بالخسران والنجاح؛ ليعتبروا ويسلكوا سبيل النجاح، ويبتعدوا عن طريق الضلال والخسران.

[٤] ثم أمر جل وعلا المؤمنين عند لقاء الكفار في ساحات المعركة أن يدعوهم إلىٰ الإسلام؛ فإن أبو إلا القتال فعليكم أن تضربوا أعناقهم، وأن تستمروا في ذلك حتىٰ إذا أهلكتموهم قتلًا فقيدوا وثاق الأسرىٰ منهم، وبعد ذلك ينظر في الأصلح إما الاسترقاق أو القتل أو الفدية، والنظر في هذا يكون لولي الأمر، وعليكم أن تستمروا في ذلك حتىٰ تنتهي الحرب، واعلموا أن ما تقدم ذكره من أحكام هو الحق الذي أمركم الله به، ولو يشاء الله لقضىٰ علىٰ الكفار من غير أن يطلب من المسلمين القتال والجهاد، ولكن أراد الله أن يعاقبهم بأيديكم فلذلك شرع لكم الجهاد، وليختبركم بهم وينصر بكم دينه وشرعه، ثم أخبر سبحانه بأن الذين قتلوا في سبيل الله لن يحبط الله ثواب أعمالهم.

[٥-٦] ثم بين سبحانه أن هؤلاء الشهداء -بسبب طاعتهم- سيهديهم إلىٰ مرضاته وسلوك الطريق الموصلة إلىٰ الجنة، وسيُصلح الله لهم أحوالهم الدينية والدنيوية، وسيصلح لهم قلوبهم ونياتهم، ثم في الآخرة يدخلهم جنات النعيم التي لطالما اشتاقوا إليها، وقد عرفها الله لهم فوصفها لهم، فاشتاقوا إليها، وسارعوا العمل للفوز بها بالأعمال الموصلة إليها، ومن ذلك الجهاد في سبيل الله، وقد عرفهم الله أيضًا منازلهم في الجنة، فإذا دخلوها ذهبوا إلىٰ منازلهم مباشرة.

[٧] ثم وعد جل وعلا عباده المؤمنين الذين صدقوا الله ورسوله ﷺ وعملوا بشرعه إذا استبسلوا وبذلوا الجهد ضد خصمهم في نصرة دين الله؛ فإنه سبحانه سوف ينصرهم ويؤيدهم بغوث منه، ويثبت أقدامهم؛ لأن النصر يكون مع الثبات والصبر.

[٨] أما الذين كفروا بالله ورسوله ﷺ فهلاكًا وضعفًا وخسرانًا لهم، وأبطل الله ثواب أعمالهم.

[٩] ثم بين سبحانه أن ذلك العقاب الواقع عليهم بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله علىٰ نبيه ﷺ من القرآن العظيم، وأبغضوه؛ فأحبط الله أعمالهم وأبطلها؛ فلا ينتفعون بها في الدنيا ولا في الآخرة.

وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية علىٰ أن من كره شيئًا مما أنزله الله فقد كفر.

[١٠] ثم وبخ جل وعلا كفار مكة، فقال: أفلم يسيروا في الأرض فينظروا بعين الاعتبار إلىٰ مصائر ونهايات الأقوام التي كذبت رسلها من قبلهم؛ كعاد، وثمود وقوم لوط؟! فإن الله قد دمرهم وأهلكهم وقضىٰ عليهم بسبب شركهم، وتكذيبهم لأنبيائهم، وليعلم هؤلاء المعاندون أن هذه نهاية كل من كفر بالله، وكذَّب أنبياءَه.

[١١] واعلموا أيها الناس أن ذلك الذي حصل من نجاة المؤمنين وتكريمهم، وعذاب الكافرين وقهرهم؛ بسبب أن الله مولىٰ المؤمنين وناصرهم، وأن الكافرين بالله الجاحدين بآياته، ليس لهم من ينصرهم ويمنعهم من عذاب الله وسخطه.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ
وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ١٣ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن
رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٤ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي
وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ
طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ
مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا
خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٦ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ
زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ
أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
ذِكۡرَىٰهُمۡ ١٨ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ
وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩



[١٢] ثم ذكر جل وعلا لطفه ورحمته بالمؤمنين؛ وبغضه للكافرين، فأخبر بأنه سوف يدخل الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله ﷺ وعملوا الأعمال الصالحة جنات تجري من تحت اشجارها وقصورها الأنهار إكرامًا لهم، وأما الذين كفروا فإنهم يتمتعون في الدنيا أيامًا معدودات، ويأكلون ويرتعون بالملذات كما تأكل الأنعام، ونهاية المطاف أن ثوابهم وبقاءهم السرمدي هو نار جنهم التي ستكون مسكنًا لهم.

[١٣] ثم يسلي جل وعلا نبيه ﷺ أن لا يحزن عمَّا أصابه من أذىٰ قومه له ومن إخراجه من بلده مكة التي يحبها وولد فيها وعاش فيها ثلاثة وخمسين عامًا؛ حيث أخبره أن كثيرًا من القرىٰ كانت أشد قوة ومنعة من قريتك التي أخرجتك ومع ذلك أهلكناها بسبب كفر أهلها وعنادهم، ولم يجدوا لهم ناصرًا أو معينًا ينصرهم أو يبعد العذاب عنهم.

[١٤] ثم ذكر جل وعلا أنه لا مقارنه ولا مساواة بين من يسير في عمله وحياته علىٰ هدىٰ وبرهان من الله وبصيرة من أمره، وبين من حسَّن له الشيطان سوء عمله الباطل واتبع هواه فَضَلَّ وَأَضَلَّ غيره، لا شك أنهما لا يستويان أبدًا.

[١٥] واعلموا أن صفة الجنة التي وعدها الله للمتقين: فيها أنهار من ماء طيب لا يتغير من طول المكث، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر في غاية اللذة لمن يشربها، وأنهار من عسل قد صُفِّي من كل الشوائب، وفيها أيضًا من جميع الثمرات من مختلف الفواكه وغيرها، وأعظم من ذلك رضوان الله عليهم ومغفرة ذنوبهم وتجاوزه عنها؛ بل وإبدالها بحسنات كرمًا منه سبحانه وإحسانًا، فهل يكون أهل الجنة مثل أهل النار الماكثين فيها لا يخرجون منها أبدًا، ويسقون من ماء يكون في أشد درجات الحرارة فيقطع أمعاءهم؟ ثم يعاد إصلاحها ليستمر عقابهم.

[١٦] واعلم يانبي الله أن من هؤلاء المنافقين من يستمع إليك بأذنه دون أن يعي قلبه من كلامك شيئًا، حتىٰ إذا خرجوا من مجلسك قالوا لأهل العلم الذين حضروا مجلسك علىٰ سبيل السخرية والتهكم: ماذا كان يقول محمد قبل قليل؟ فاعلم أن أولئك هم المنافقون الذين ختم الله علىٰ قلوبهم؛ فلا تفقه الحق ولا تهتدي إليه، واتبعوا أهواءهم في الكفر والضلال.

[١٧] ثم بين جل في علاه أن المؤمنين الذين اهتدوا لاتباع الحق واستجابوا له فقد زادهم الله نورًا وبصيرة، ووفقهم للتقوىٰ ويسرها لهم.

[١٨] ثم قال جل وعلا لهؤلاء المنافقين علىٰ سبيل التوبيخ: هل تنتظرون الساعة أن تقوم عليكم فجأةً، وأنتم لا تشعرون بها؟! فقد جاءتكم علاماتها الدالة علىٰ قربها - ومع ذلك لم تنتفعوا، ولم تؤمنوا -، فمن أين لكم التذكّر الذي ينفعكم إذا جاءتكم الساعة؟! ومعلومٌ أنه عند قيام الساعة لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، ولا تُقبل من أحد توبةٌ أبدًا.

[١٩] فإذا تبين لك يانبي الله ما أخبرناك به عن حال السعداء وحال الأشقياء؛ فاعلم أنه لا معبود بحق إلا الله، واطلب من ربك المغفرة لذنبك، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات؛ لأن ذلك من حق المسلم علىٰ المسلم، واعلموا أن الله جل في علاه يعلم كل تصرفاتكم التي تقع منكم ليلًا أو نهارًا.

وقوله: ﴿فَٱعۡلَمۡ﴾، لا شك أن الرسول ﷺ يعلم ذلك، ولكن المقصود هو أن يبلغ أمته.

وهذه الآية فيها حث وإلزام للمسلمين بتعلم ما لا يتم إسلام المؤمن إلا بتعلمه والقيام به من الأعمال الصالحة والواجبات كالزكاة والصيام والحج والصلاة وغير ذلك، وقد ذكر شيخ الحديث البخاري رحمه الله هذه الآية في صحيحه، فقال: باب: العلم قبل القول والعمل، ثم ذكر نص الآية: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ
مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ
﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ
ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ
أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ
لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ
سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾
فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ
وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ
ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾



[٢٠-٢١] ذكر جل وعلا أن المؤمنين الذين آمنوا بالله وصدَّقوا رسوله ﷺ يتمنون أن يؤمروا بقتال الأعداء، ولذا تجدهم يقولون: هلا نُزِّلت يارسول الله سورة جديدة من القرآن تأمرنا بجهاد الكفار، أما المنافقون فلهم موقف آخر لن تجد مثل وصف الله له في هذه الآية؛ فإنهم إذا أُنزلت سورة فيها ذكر الجهاد رأيت الذين في قلوبهم شك في دين الله ونفاق ينظرون إليك أيها النبي نَظَرَ ذلك الذي شَخَصَ بَصَرُهُ عند الموت لفزعهم الشديد، وخوفهم من القتال، وكان الأولىٰ والأليق بهم أن يطيعوك، وأن يجيبوك بجوابٍ حسن، فإذا جدَّ الجدّ، وحضر القتال، فلو صدقوا الله في جهادهم وقتالهم الكفار؛ لكان خيرًا لهم في دنياهم وأُخْراهم.

[٢٢] ثم وجه جل وعلا الخطاب للكفار علىٰ سبيل الزجر لهم، فقال: هل عسيتم إن أعرضتم عن أمر الله، وتركتموه ولم تقوموا به؛ أن تعيثوا في الأرض الفساد، بالشرك، والظلم، وسفك الدماء، وتقطيع الأرحام.

[٢٣] ثم بين سبحانه أن أولئك الذين يفسدون في الأرض ويقطعون الأرحام قد أبعدهم الله، وطردهم من رحمته؛ فعاقبهم بأن جعلهم لا يسمعون ما ينفعهم، ولا يبصرون الخير والمعروف.

[٢٤] ثم أمر جل وعلا بتدبر القرآن وتفهمه، ونهىٰ عن الإعراض عنه، فقال: هلَّا يتدبر هؤلاء آيات القرآن، ويُعملون عقولهم وأفكارهم فيها؟! فيتعظون بالمواعظ، وينزجرون بالزواجر!! ويعرفون الحق من الباطل؟! بل هؤلاء علىٰ قلوبهم أقفال فهم لا يفهمون ولا يعقلون.

[٢٥] واعلموا أن الذين ارتدوا علىٰ أدبارهم ورجعوا كفَّارًا بعد إسلامهم - من بعد ما تبين لهم الدين الحق -؛ أولئك حسَّن وزيَّن لهم الشيطان ردَّتهم وانتكاستهم، ومدَّ لهم في آمالهم ووعدهم بطول العمر، وهؤلاء الذين ارتدوا لن يضروا الله شيئًا وسيحبط سبحانه أعمالهم.

[٢٦] ثم بين جل وعلا سبب ردتهم أنهم قالوا للذين كرهوا القرآن والإسلام - من المشركين أو اليهود -: سنطيعكم ونتعاون معكم في عداوة الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلم، ومخالفة ما جاء به، والله جل في علاه مطَّلعٌ عليهم، ويعلم سرَّهم ونجواهم، ويعلم ما تآمروا به سرًّا مع أعدائه؛ فلذلك فضحهم، وبيَّن أمرهم لعباده المؤمنين لئلَّا يغترُّوا بهم.

[٢٧] ثم أخبر جل وعلا عن حالة هؤلاء الكفار الشنيعة حين تتوفاهم الملائكة عند انتهاء آجالهم، وهم يضربون وجوههم وأدبارهم بمقامع من حديد؟!!

[٢٨] ثم بين سبحانه أن ذلك العذاب الذي أصابهم، والنكال الذي حلَّ بهم؛ بسبب أنهم اتبعوا وعملوا ما يكرهه الله ويأباه من الأقوال والأعمال، وتركوا وكرهوا ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال - ومنها الجهاد في سبيله، ومقاتلة أعدائه -؛ فأحبط الله أعمالهم، وأبطل ثوابها.

[٢٩] ثم هدد جل وعلا هؤلاء المنافقين بكشف أستارهم وفضح أسرارهم، فقال: هل يظن هؤلاء الذين في قلوبهم عداوة وحقد للإسلام والمسلمين أن لن يبرز الله ما في قلوبهم ويطلع الرسول ﷺ والمسلمين عليه.

وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى
لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ
ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ
﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ
وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟
وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ
أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟
يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا
فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ
تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ
فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن
تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾



[٣٠] بين جل وعلا بعض مظاهر قدرته فقال: ولو نشاء يانبي الله لأريناك أشخاصهم، وعرَّفناكهم بأعيانهم، ولتعرفنهم بعلامتهم الخاصة التي يتميزون بها وتظهر في وجوههم، ولتعرفنهم في مقاصد كلامهم وفلتات ألسنتهم، وما يفهم من فحوىٰ كلامهم، والله يعلم أعمالكم لا يخفىٰ عليه شيء منها، وسيجازيكم ويحاسبكم عليها.

[٣١] ثم بين جل وعلا سنة من سننه في خلقه، فقال، ولنختبرنَّكم أيها المؤمنون بالقتال والجهاد لأعداء الله حتىٰ نبين لكم المجاهدين الصادقين الصابرين منكم، وغير الصادقين والصابرين، ونظهر أخباركم لكي يظهر الصادق منكم من الكاذب.

[٣٢] واعلموا أن هؤلاء الذين جحدوا دين الله وصدوا الناس عن الإيمان به، وعادوا الرسول ﷺ من بعد ما تبين لهم الحق، وثبت لهم أن الرسول ﷺ صادق؛ هؤلاء لن يضروا الله شيئًا بسبب كفرهم وضلالهم، وسوف يبطل سبحانه أعمالهم التي عملوها في الدنيا، كإطعام الطعام وصلة الأرحام؛ لأن الله لا يقبل عملًا من نفس كافرة.

[٣٣] ياأيها الذين آمنوا بالله واليوم الآخر، وصدَّقوا رسوله ﷺ، داوموا علىٰ طاعة الله ورسوله ﷺ في فعل الأوامر، واجتناب النواهي، ولا تُفسِدوا أعمالكم، وتُذهِبوا أجرها بالرياء والشرك والمعاصي.

[٣٤] واعلموا أن الذين كفروا بالله وجحدوا آياته وكذبوا رسوله ﷺ، وصدُّوا غيرهم عن الإيمان بالله وتوحيده؛ ثم لم يتوبوا من ذلك، ولم يسلموا، وماتوا وهم كفار؛ فأولئك لن يغفر الله لهم ذنوبهم، وقد حرَّم الله عليهم الجنة، ومأواهم النار خالدين فيها أبدًا.

[٣٥] وإذا كان الله جل وعلا لن يغفر للكافرين فلا تضعفوا أيها المؤمنون عن قتالهم، ولا تخافوا وتجبنوا، ولا تدعوهم للسلم والمصالحة - طلبًا للراحة والدَّعَة -، وأنتم الغالبون القاهرون العالون علىٰ أعدائكم، والله جل في علاه معكم ينصركم ويؤيدكم ويثبتكم، وسيجازيكم علىٰ جهادكم وصبركم، وصالح أعمالكم، ولن ينقصكم شيئًا من أجوركم.

[٣٦] واعلموا أنما حقيقة الحياة الدنيا: لعبٌ ولهوٌ وغرورٌ، لا ثبات لها ولا اعتداد بها، وإن تؤمنوا بالله ورسوله ﷺ وبما جاء به، وتجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بتوحيده وفعل ما يحبه الله ويرضاه، وترك ما يكرهه الله ويأباه؛ يُعْطِكُمُ الله أجركم وثوابكم في الآخرة، ولا يريد الله أن يكلّفكم ما يشق عليكم من أخذ جميع أموالكم أو معظمها أخْذًا يضرُّ بكم، إنما يأمركم بإخراج القليل منها في الزكاة الواجبة عليكم - إذا بلغت أموالكم النِّصاب -.

[٣٧] ثم بين جل وعلا جانبًا من حكمته في تشريعاته؛ فأخبر بأنه لو طلب منكم إنفاق جميع أموالكم وألح عليكم في ذلك؛ فإنكم حينها سوف تبخلوا وتمتنعوا عن الاستجابة، وتظهر حينها الأضغان والأحقاد.

[٣٨] ثم ختم جل وعلا السورة بالحث علىٰ الإنفاق والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، فقال سبحانه: هاأنتم أيها المؤمنون تدعون إلىٰ النفقة في جهاد أعداء الله ونصرة دينه، فمنكم أيها الناس مَن يَبْخَلُ بالنفقة في سبيل الله، ومَن يَبْخَلْ فإنما يبخل عن نفسه؛ لأن ما تقدمه يكون رصيدًا لك في الآخرة، واعلموا أن الله تعالىٰ هو الغنيُّ عنكم وأنتم الفقراء إليه لحاجتكم إلىٰ عونه وتوفيقه، وإن تعرضوا عن الإيمان بالله وامتثال أمره؛ فإنه سوف يهلككم ويخلق بدلكم قومًا آخرين ثم لا يكونوا أمثالكم في الإعراض والبعد عن الخير؛ بل يطيعونه ويطيعون رسوله ﷺ، ويجاهدون في سبيله بأموالهم وأنفسهم.

وكما بدأت السورة بالجهاد بالنفس والإثخان في الكفار حتىٰ تكون كلمة الله هي العليا، ويعم الإسلام البلاد؛ خُتِمت بالجهاد بالمال والبذل للمجاهدين ليتوفر العتاد والسلاح والأكل والشرب والمراكب؛ فالمال هو السند الثاني للمجاهدين بعد تأييد الله وتوفيقه.